وحدة الموقف الفلسطيني

■ حميدي العبدالله

رافقت العدوان الصهيوني على قطاع غزة وحدة في موقف فصائل المقاومة، ولا سيما فتح والسلطة من جهة وحماس من جهة أخرى، وذلك للمرة الأولى منذ فترة طويلة، إذ كان في السابق وحتى في ظل اعتداءات إسرائيلية واسعة على القطاع، يتبادل الطرفان، حماس وفتح، الاتهامات، حماس تتهم السلطة بالتواطؤ مع العدو، وفتح تتهم حماس بالتسبب بالعدوان وتدمير القطاع وسقوط الكثير من الشهداء والجرحى.

هذه المرة كان الطرفان منذ اللحظة الأولى للعدوان وحتى مرور شهر عليه في موقف موحد، بل أكثر من ذلك دخلا المفاوضات بورقة موحدة تختصر المطالب الفلسطينية المشروعة، وتشكل وحدة صلبة حول هذه المطالب.

وعلى رغم أن حماس وفتح تعرضتا لضغوط عربية ودولية، إلا أن استمرار وحدة الموقف حول المطالب الستة الرئيسية ما زالت قائمة وبقوة حتى بعد استئناف العدو الصهيوني لعدوانه على غزة بعد وصول المفاوضات إلى طريق مسدود، فما هي الأسباب التي أدت إلى وحدة الموقف الفلسطيني، وحالت دون نجاح الضغوط العربية والدولية؟

أولاً، بالنسبة لحماس، وفصائل المقاومة الأخرى، وتحديداً الفصائل التي شاركت بقوة بصد العدوان، فإن تحقيق مطالبها التي أعلنت عندما طرحت المبادرة المصرية، لا يمكن التراجع عنها تحت أي ضغط أو ظرف كان، لأن التراجع عن هذه المطالب يحملها مسؤولية عدم الاستجابة للشروط الفلسطينية، وتحمل مسؤولية سقوط أكثر من 12 ألف فلسطيني بين شهيد وجريح.

ثانياً، حركة فتح والسلطة الفلسطينية ترى أن التمسك بالمطالب والعمل على تحقيقها يؤمن عودة فتح والسلطة إلى القطاع، وهذا هو الطريق الوحيد للعودة إلى القطاع. فمن المعروف أن فتح المعابر ورفع الحصار، وفتح ميناء بحري ومطار جوي لن يتم إلا بإشراف السلطة الفلسطينية، وهذا يحظى بإجماع الفصائل الفلسطينية، بما في ذلك حركة حماس، التي بات من الصعب عليها أن ترفض إشراف السلطة على هذه المرافق بعد تشكيل حكومة الوفاق، وبعد العدوان الصهيوني الواسع. والسلطة وفتح على قناعة تامة بأنه كلما زاد عدد المرافق التي تستوجب حضور السلطة وإشرافها عليها، كلما تعززت فرص عودة السلطة وفتح إلى القطاع على نحو يعيد التوازنات التي اختلت في غير مصلحتها منذ قيام حركة حماس بالسيطرة على قطاع غزة وخروج فتح والسلطة من القطاع. فإذا اقتصر تحقيق المطالب على رفع الحصار وفتح المعابر، فهذا يعني أن وجود السلطة وفتح سيكون محدوداً للغاية لأنه سيقتصر على التواجد في معبر رفح، لأن المعابر الأخرى ستكون تحت إشراف جيش الاحتلال الصهيوني كونها واقعة على خط الفصل بين قطاع غزة والأرض الفلسطينية المحتلة عام 1948، في حين أن فتح الميناء وتشغيله، وفتح المطار وتسيير الرحلات عبره، يتطلبان وجود آلاف العناصر الأمنية التابعة للسلطة ولحركة فتح لتسيير هذه المرافق وتأمين الحماية لها، وهذا من شأنه أن يعيد السلطة وفتح بقوة إلى القطاع.

تطابقت مصالح حماس وفتح والسلطة، أو بالأحرى تقاطعت عند المطالب الواردة في الورقة الفلسطينية الموحدة، وهذا هو الذي يفسر وحدة الموقف الفلسطيني أثناء العدوان وأثناء مفاوضات القاهرة غير المباشرة مع العدو الصهيوني.

حسناً فالسياسة لم تكن يوماً واحداً مجرد مبادئ، بل كانت دائماً تعبيراً عن مصالح، واليوم المصالح هي التي توحد الفصائل الفلسطينية.

الحركات الإسلامية وشروط التقارب الثقافي

■ جعفر محمد حسين فضل الله

تشكّلت ثقافة المجتمع الإسلامي، بتنوّعاته المذهبيّة، في مرحلة سابقة على نشوء الحركات الإسلامية التي تعتبر حديثة العهد، فأكبرها عمراً يرجع إلى بدايات القرن العشرين في الحدّ الأقصى، مثل حركة الإخوان المسلمين يتلوه حزب التحرير في المجال الإسلامي السنّي، ويتبعهما حزب الدعوة الإسلاميّة وحزب الله في المجال الإسلامي الشيعي؛ وهذه الثقافة تتّكئ على تاريخ عمره أكثر من أربعة عشر قرناً، وهو تاريخ مليء بصراعات داخليّة وخارجية ربّما تكون طبيعيّة إذا قيست بمسار تشكّل المجتمعات، ولا سيّما في دولة اتّسعت جغرافيّتها بوتيرة سريعة نسبيّاً.

ليس من شكّ هنا في أنّ تعقيدات الفكر الإسلامي التي رافقت مسيرة المسلمين منذ وفاة النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، في ما يخصّ مواضيع مرتبطة بالعقيدة والفرق وطبيعة القيمة التي يمنحها كلّ فريق لفكره وعقيدته وفقهه ومصادره المعرفيّة وما إلى ذلك، قياساً بالآخَر الذي يأخذ عادةً قيمة سلبيّة في مقابل ذلك... تلك التعقيدات كلّها رافقت تشكّل الذهنيّة الثقافيّة للجماعات المذهبيّة، على اختلافها.

ما يعنينا في هذا المقال هو تسليط الضوء على إشكاليّة أساسيّة هي: إلى أيّ مدى ساهمت الحركات الإسلامية الجهاديّة في بلورة تقارب ثقافيّ في ما بينها، بحيث أدّى توحيد الهدف الجهاديّ في مقاومة الاحتلال الصهيوني والاستكباري إلى تغيّر في الأفكار والمعتقدات، ولا سيّما تلك المرتبطة بالآخر المذهبي وصورته؟

من الواضح أنّ الحركات الإسلاميّة الجهاديّة عملت على كسر الحواجز بين المجالين السنّي والشيعي، حتّى اعتُبر العمل الجهادي عنصر توحيد للأمّة ككيان إسلاميّ جامع، وتمّ التركيز عليه كعامل فريد لإلغاء الفروق وتحقيق التقارب وجسر الهوّات بين ذينك المجالين، بما يؤدّي إلى بلورة ذهنيّة إسلاميّة عامّة، تشترك في قواعد تفكيرها، ومعايير تقويمها، وخطوط أدائها العملي، بما يصبُّ في عمليّة نهوض حقيقي وخلق جبهة إسلاميّة مشتركة في مواجهة العدوّ الصهيوني الرابض على قلب الأمّة في فلسطين، والذي أدخل المنطقة العربية والإسلاميّة كلّها في خطّ توتير فتنويّ وتخلّف حضاريّ على أكثر من صعيد.

لكنّ حوادث كبرى عصفت بالمنطقة كشفت عن أنّ العامل الجهادي إنّما هو عاملٌ من عوامل الوحدة بلا شكّ، ولكنّه ليس العامل الوحيد؛ فهو عاملٌ ذو بُعد خارجيّ، بمعنى أنّه يتوجّه ضدّ عدوّ خارجي يخفّف من حدّة التمايزات والاختلافات والتباينات والتناقضات الداخليّة تحقيقاً للمصلحة العليا، تبعاً لما يحقّقه على المستوى النفسي من اتّساع في الأفق وثقة بالنفس وشعور بالقدرة على الإنجاز؛ ولكنّه لا يؤثّر جذريّاً في ثقافة الشعوب والجماعات والمذاهب والفرق إذا لم توجّه جهودها نحو نقد ذاتيّ، وإعادة تقويم للمآل الفكري والثقافي، مستفيدة من الأفق الذي يفتّحه العامل الجهادي أمام تفاعل أكثر راحة وهدوءاً.

أبرز تلك الحوادث كان الاحتلال الأميركي للعراق، وطفت بسببه فكرة على السطح أنّ المسلمين الشيعة أصحاب طبع متأصّل في المؤامرة على المسلمين: فعلوها قبلاً تجاه «الخلافة» العبّاسيّة التي أسقطها التتار بمعونة الوزير «الرافضي» ابن العلقمي، وها هم يعيدونها مجدّداً مع الولايات المتّحدة الأميركية ضدّ نظام صدّام حسين الذي بدا أنّه بطلٌ من أبطال الإسلام! ولم يكن توحيد الحركة الجهاديّة مانعاً من عدم استعادة التاريخ بوجهه المأزوم، بمعزل عن حقيقته وواقعه.

الأزمة السوريّة كانت تبرز هذا التناقض في صورة أجلى وأوضح، فالشيعة الذين انتصروا على الكيان الصهيوني وحملوا لواء تحرير فلسطين كفصيل من الأمّة، ليسوا سوى الرافضة الذين اختزنت الثقافة الإسلامية السائدة موقفاً سلبيّاً منهم، وهم خارجون على «السنّة والجماعة» وأقرب إلى البدعة والشرك في أدبيّات تروّج لها تحديداً الحركة الوهّابيّة على مساحة العالم الإسلامي.

قد يختلط الأمر على كثيرين من عامّة الناس بين شيعة ونُصيريّة، وتعود إيران الشيعيّة الدولة الصفويّة التي كانت تقف في مواجهة «الخلافة» العثمانيّة، على رغم تعاونها الاستراتيجي مع تركيا في أكثر من مجال، وقد انخرطت في ذلك مؤسّسات دينية عريقة لتعمل على ترويج كتب صفراء عف عليها الزمن، تعتبر للشيعة ديناً غير دين المسلمين!

إضافة إلى ذلك، كانت فكرة «الخلافة الإسلاميّة» حلماً دغدغ مشاعر حركات إسلاميّة عريقة، ومن البديهي أن يخرج الشيعة من مشروعها؛ لأنّ «الخلافة» التاريخية كانت خلافة إسلاميّة سنّية، لا علاقة للمسلمين الشيعة بها؛ فتاريخ هؤلاء هو الرفض والخروج على جماعة المسلمين. ما جعل المواقف والحوادث تتحرّك معزولة عن السياق الجهادي كله الذي راكمته المقاومة الإسلاميّة الناشئة في المجال الشيعي، تحديداً في جنوب لبنان منذ عام 1982.

في المقلب الآخر، كان موقف الثقافة الشيعيّة من عدد من صحابة رسول الله يعود إلى الواجهة، ليتمّ من خلاله تأكيد الصورة النمطيّة التاريخيّة عن الشيعة، حتّى وجدناه يتحوّل إلى موقف مبدئيّ يحكم تقارب دول بأسرها، كما شهدنا ذلك في ما حصل على باب الأزهر بين بعض علمائه وبين الرئيس الإيراني السابق.

طفا على سطح التخاطب أيضاً مصطلح النواصب، وكان الجهل بالآخر دافعاً لرمي بعض الثقافة الشعبيّة كلّ مخالف بأنّه ناصبيّ، وأطلقت عناوين تاريخية على الصراع الدائر، فأصبحت جبهةٌ ما هي جبهة «بني أميّة» الذين حاربوا «أهل البيت»، ناهيك عن مصطلح الرفض الذي أصبح موضع فخر دونما تدقيق في مفهومه ومحتواه خلال تشكّله التاريخي.

ذلك كلّه يدلّ على أنّ لدينا مسارين:

الأوّل: مسار سطحيّ يتناول مقولات عامّة، كالوحدة والأخوّة والمقاومة والجهاد والنهضة والحضارة الإسلاميّة وسائر المشتركات، وذلك كله بدا أنّه آنيّ لم يساهم في تحوّل جذري في الثقافة الإسلامية العامّة، ولم يعد إنتاج ذهنيّة مختلفة عن الذهنيّة التاريخية التي يبدو أنّها سارت في نمطيّة ثابتة على اختلاف العصور والأعوام.

الثاني: مسار متّصل بالتاريخ الإسلامي كلّه وتجاذباته وصراعاته؛ هذا التاريخ الذي راكم كثيراً من المقولات والصور النمطيّة عن الآخر المذهبي.

ما جعل المسارين يتحرّكان من دون أن يؤثّر أحدهما في الآخر في شكل فاعل هو انغلاق المجالين من الناحية العلميّة والمعرفيّة عن بعضهما بعضاً، ولذلك انفصل مسار الحركة الإسلاميّة في بُعدها الجهادي معها في بُعدها العقدي والمعرفي والمفهوميّ على وجه التحديد؛ وأصبحنا نسمع – على سبيل النكتة – أنّ المشكلة فحسب في جهاد المسلمين الشيعة أنّهم شيعة، وأنّ المشكلة في جهاد المسلمين السنّة أنّهم سنّة، في إيحاء للمحتوى السلبي في الثقافة الشعبيّة هنا وهناك.

ممّا ساهم في إيقاف أيّ مفاعيل لتأثير الوحدة الجهاديّة، هو الثقافة الشعبيّة المبنيّة على نهائيّات المعرفة، التي تؤدّي حكماً إلى اعتبار الأنا – المذهبيّة هي الحقّ كلّه، والآخر – المذهبي هو الباطل كلّه، ونتحدّث هنا عن البُعد المعرفي كما هو واضح.

أضف إلى ذلك أنّ ذهنيّة التعصّب لذات الجماعة بعيداً عن القيم، ساهم في خلق حواجز نفسيّة متجذّرة في حركة المشاعر، وكان ذلك مانعاً إضافيّاً من التلاقح المعرفي، واختبار القواعد الفكرية المشتركة، وتحديد مواقع الخلاف على نحو علميّ ودقيق.

إنّ ما تتميّز به الحركات الإسلاميّة أنّها راكمت خبرة معاصرة حيال السياسة وطبيعتها، إضافة إلى الروح العلمية التي تتعامل مع الوقائع الميدانيّة ولا تأخذ بالإشاعات والمتداول غير العلمي، مع كونها – تلك الحركات – أطراً جامعة لشرائح واسعة من الجمهور، بما لا تملكه الدول والأنظمة؛ ما يحمّلها خبرة حضاريّة أمام المنعطف الخطير الذي تمرّ به أمّتنا، وتفرض عليها إعادة النظر في طبيعة الحركة الثقافيّة والفكريّة النقديّة التي مارستها طوال العقود الماضية؛ فمن يراكم خبرة سياسية في الحاضر يملك دقّة أكثر في قراءة حوادث الماضي التي لا تزال قراءتها المذهبيّة مبسّطة أو مخوّنة، بينما يمكن أن نتحدّث فيها عن عوامل متعدّدة غير محصورة بالنوايا السيّئة، ما يسمح بطيّ صفحة الماضي من دون إلقاء ثقله على الحاضر، والانصراف إلى اعتباره مصدر عبرة ودراسة تطبيقيّة للقيم وهي التي تهمّنا في واقعنا المعاصر وهي ما نُسأل عنه بين يدي الله سبحانه وتعالى.

لم نرد هنا اجتزاء هذه النقطة المعقّدة بما ذكرناه بقدر ما أردناها إشارة سريعة إلى بعض ملامح الحركة النقديّة التي تنبع من الحاضر ولا تتنكّر في الوقت نفسه لكثير من معتقداتها الأساسيّة.

في أيّ حال، قد نحتاج إلى التشديد على عدّة نقاط نحسبها أساسيّة في إيجاد مسار آخر لا يعيد إنتاج الأزمات الماضية بالقوّة ذاتها:

أوّلاً: الحركات الإسلاميّة مسؤولة عن إعادة فتح المجال المعرفي والثقافي الإسلامي على مصراعيه، ومثلما تحتاج الحركة الإسلاميّة إلى اجتهاد في قضايا الجهاد على ضوء المستجدّات، تحتاج أيضاً إلى الاجتهاد في قضايا فكرية وعقدية على ضوء الخبرة المتراكمة، وهذا من عوامل تحصين ساحتها أمام أيّ نقاط ضعف ذاتية يمكن للعدوّ النفاذ من خلالها.

ثانياً: ثمّة مقولات فقهيّة أنتجها الفكر الفقهي السياسي الذي كان محكوماً بالإطار العقدي للجماعات المذهبيّة، واليوم تفرض علينا الخبرة بالواقع السياسي، وطبيعة السياسات التي تنتهجها الدول والسلطات حيال الأفكار المذهبيّة، في تبنّيها تارةً ومواجهتها أخرى تبعاً لحركة مصالحها، أن نعيد النظر في تقويمنا للتجارب السياسية التاريخية التي اعتُبر فيها الأمويّون أو العبّاسيّون أو العثمانيّون أو الصفويّون أو غيرهم ممثّلين للخلافة الإسلاميّة ولو في الذهنيّة الشعبية العامّة، في معزل عن تقويم النخب.

ثالثاً: المسار الجهادي هو من العوامل المساعدة في توسيع الأفق والنظرة إلى المشهد العامّ للمسلمين، وإلى الموقع الحضاري للأمّة الإسلاميّة حيال الصراع الأكبر بكثير من العناوين الضيّقة التي أدمنّاها في تاريخنا، واستثمار ذلك يساهم في اختصار المسافة نحو التقارب الذاتي بطبيعة الحال.

رابعاً: لا يمكن لأيّ تقارب فكري ومعرفي أن ينحصر في الأطر العليا للحركات الإسلاميّة، بل لا بدّ من أن يتحوّل إلى ثقافة شعبيّة؛ فما أفرزته الأزمات الأخيرة كشفت عن وجود بون شاسع بين فكر النخب وفكر الجماهير الشعبيّة في هذا المجال. بل رأينا أنّ النخب قد تجد حرجاً من التعبير عن حقيقة مواقفها من بعض الحوادث أو الجماعات؛ فذلك يصطدم بذهنيّة الجماهير المستحكمة. وقد تدخل العمليّة هنا في حلقة مفرغة، بحيث يكون بقاء ذهنيّة الجماهير على ما هي عليه شرطاً لتماسك الجماعة المذهبيّة، ما يدفع القيادة المذهبيّة نحو تبنّي خطابين؛ أحدهما إلى الداخل يهدف إلى شدّ العصب الذاتي للجماعة، والثاني إلى الخارج المتصل بقضايا حيويّة مشتركة مع الآخر المذهبي أو غيره؛ وهذا كلّه يعبّر عن أزمة حقيقيّة في بنية الخطاب والفكر المنتج له.

خامساً: لا ينبغي أن يتوهّم أحدٌ أنّ أيّ مشروع للخلافة الإسلاميّة التي تعنى بتوحيد العالم الإسلامي تتمّ عبر استبعاد فصيل من الأمّة، أو مذاهب بأسرها، بل هي خلافة يندكّ فيها السنّة والشيعة عبر مسار من التقارب الذي أشرنا إليه آنفاً، في مشروع حضاريّ واحد، لا يقوم على السياسة وحدها، بل على جميع مسارات الإنتاج الحضاري، في المعرفة والثقافة والعلوم والاقتصاد والاجتماع وما إلى ذلك.

سادساً وأخيراً: استناداً إلى النقطة السابقة، فإنّ تحرير فلسطين كمشروع وحدويّ جامع، يمرّ من باب توحيد الحركات الإسلامية الجهاديّة، الناشئة في المجالين السنّي والشيعي، فلا يزعم هؤلاء أو أولئك أنّ بيت المقدس لن يتحرّر إلّا على أيديهم؛ فهذا خلاف منطق التاريخ، والوقائع الأخيرة أثبتت ذلك. ما يفرض علينا إعادة النظر في كثير من المرويّات التي تتحدّث عن أنّه «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم حتّى يأتي أمر الله وهم بالشام» ونحو ذلك من الأحاديث التي يطبّقها كلّ فريق على نفسه، على قاعدة استبعاد الآخر على نحو مطلق عن أن يكون مشمولاً لها.

إنّ ما توخّيناه من هذه المقالة محاولة لاكتشاف مواقع الداء في أمّتنا؛ فنحن جميعاً أمام منعطف خطير جدّاً لا يقتصر فيه الأمر علينا في وجوداتنا البشرية، إنّما يصل الأمر إلى الإسلام كدين، ونعتقد أنّ الحرب الثقافية عليه تصنع وقائعُ لها في الميدان، ليتمّ فيه خلق حواجز نفسيّة مؤثّرة جدّاً ضدّ الإسلام، ليس لدى الشعوب غير المسلمة فحسب، وإنّما في قلب مجتمعاتنا التي أصبحت أجيالُنا الناشئة تشعر فيها بالغربة من إسلامها؛ والله من وراء القصد.

الجيش منتصراً للوطن والشعب

■ علي بدر الدين

قد تكون غزوة «داعش» و«النصرة» وملحقاتهما الإرهابية لبلدة عرسال فعلت فعلها، وأحدثت صدمة وعي وطني لدى بعض القوى السياسية الغارقة في سباتها وأحلامها، أيقظها جرس إنذار خطير جداً كلّف تضحيات وشهداء ودماء، وخوفاً ورعباً من الآتي الأعظم ومن تدحرج كرة نار الإرهاب إلى مناطق أخرى، وتحريك خلاياه النائمة المنتظرة إطلاق صفارة الاجتياح الإرهابي لإذ لطالما هددت التنظيمات الإرهابية المعلنة والخفية لبنان واللبنانيين. وبدأت ترجمة ذلك في بلدة عرسال «الحاضنة» أو المغلوب على أمرها باعتماد عنصري المباغتة والمفاجأة أو بالضربة الأولى. غير أن حساب بيدر الغزاة لم يطابق حساب حقلهم، فالجيش استوعب الصدمة وأعاد امتلاك زمام المبادرة وتصدّى بضباطه وعناصره ببطولة وشجاعة للغزاة وأفشل مخطّطهم الجهنمي، ولم يتح لهم بقوة المواجهة والنار تثبيت وجودهم في أيّ موقع عسكري وطأته أقدامهم.

نجح الجيش بتضحياته وشهادة ضبّاطه ورتبائه وعناصره في إنقاذ عرسال والبقاع ولبنان كلّه، وأثبت للمرة الألف أنه المؤسسة الوطنية بامتياز التي يعوّل عليها اللبنانيون الآمال الكبار للإنقاذ، والضامن لوحدة لبنان وسلمه الأهلي في كل معركة وفي أي زمان ومكان.

من المؤسف والعار أن يستهدف البعض الجيش ويشكك في دوره الوطني ومسؤولياته، فيما رجاله ينزفون دماً على مذبح الدفاع عن الوطن، ويتصدون لهجمة إرهابية غير مسبوقة يدرك القاصي والداني حجم خطورتها وإجرام المهاجمين الإرهابيين الجهلة والمتخلفين الذين يذبحون ويقتلون ويهجّرون ويدمّرون وقد يأكلون لحم ضحاياهم، وأفعالهم في العراق وسورية ولبنان وغيرها تدل على أنهم وحوش أو «ديناصورات» قادمة من الزمن الغابر وإن بأشكال بشرية، إنما من النوع النادر المنقرض. والأكثر أسفاً وخطورة في آن واحد، انخراط قلة مضلّلة من حاملي الجنسية اللبنانية تقاتل في صفوف هؤلاء أو تتواصل معهم أو ربما تفاوض باسمهم، وهم يجتاحون القرى مثل الجرذان الموبوءة ليقتلوا ويسلبوا ويزرعوا فكرهم الهدام الذي قد لا تكون البشرية شهدت مثله، ليقوّضوا ركائز المؤسسة العسكرية في لبنان التي كانت ولا تزال قوية ومتماسكة وخشبة الخلاص وجسر العبور إلى الأمن والأمان والسلام. وكيف يمكن لهؤلاء المضللين أن يهنأوا أو يستقروا في بلداتهم وبين أهلهم وهم شركاء للقتلة وقد تلوثت عقولهم وأياديهم بدماء الأبرياء ولا بدّ من ملاحقتهم ومعاقبتهم بتهمة خيانة الوطن في زمن الحرب عليه.

بعيداً عن الاتفاق السياسي ومبرّراته وخلفياته وأهدافه القريبة والبعيدة الذي كانت عرابته «هيئة العلماء المسلمين»، رغم ازدواجية مواقفها وحيادها السلبي وانحيازها، مسبوقة بتراكم توجهاتها السياسية والطائفية والمذهبية، فإن الجيش في عقيدته الوطنية والقتالية سطّر ملاحم بطولة رغم ضعف الإمكانات عدداً وعتاداً. وقد أنجز مهمّاته العسكرية في الدفاع عن الوطن والشعب والكرامة، وتحمّل مسؤولياته الوطنية كاملة من دون ثغر أو نقصان، ويسجّل له ذلك في خانة الانتصارات والإنجازات العسكرية والأمنية النوعية التي حمت لبنان وحالت دون وقوعه في المحظور مجهول النتائج والتداعيات. وعلى الأفرقاء السياسيين أن يدركوا جيداً، وأعتقد أنهم مدركون، أنه بعد غزوة عرسال ليس مثلما كان قبلها، مع أن الخطر الداهم كان حاضراً ماضياً ومستقبلاً. وهذا يرتّب على الجميع التعامل بجدية ومسؤولية أكبر مع المستجدات الأمنية، فالخطر وقع فعلاً ولا مجال للتبريرات والتأويلات والحسابات الخاصة، أو التسمُّر على طاولات الرهانات والمتغيرات الخارجية أو انتظار الحلول التي ستجيّر لهذا الفريق أو ذاك إذ سيطول كثيراً، وفي حال حصولها لن تكون في مصلحة لبنان وأيّ من أفرقائه.

إن غزوة عرسال الإرهابية تستدعي تغييراً في قواعد اللعبة المعمول بها، وفي فك الاشتباك السياسي الاختلافي السائد منذ زمن وبلا جدوى، فالمرحلة وما بعدها تتطلب الإمساك جيداً بحبال الحوادث والتطورات، وهذا يقتضي تعلم الدروس وأخذ العبر مما حصل وطي صفحات الخلافات السود أو تجميدها لبعض الوقت، فالضرورات تبيح المحظورات. ولا بد ولبنان عرضة للإرهاب والاستهداف من إطلاق مبادرة حوار وطنيّ منفتح من دون شروط مسبقة لضمان التوصل إلى اتفاق الحد الأدنى الذي يخدم الوطن ويبيد جراثيم الإرهاب القاتل المتنقل، والإسراع في انتخاب رئيس جديد للجمهورية، وخلق المناخ السياسي والشعبي لإجراء انتخابات نيابية صحيحة التمثيل، وضرورة دعم الجيش مادياً وعتاداً وإمكانات عسكرية، والتعجيل في تنفيذ قرار مجلس الوزراء بزيادة عديده في منأى عن تعقيدات التوازن الطائفي، فالهدف الأساس هو الدفاع عن الوطن الهوية والأرض والشعب، وتقديم الدماء قرباناً على مذبح السيادة والاستقلال والسلام. وهذه خيارات اللبنانيين التي تجلب في أبهى صورها ومعانيها في الالتفاف حول الجيش والتضامن معه في حربه ضد الإرهابيين من دون النظر إلى هوية الدماء التي سالت على تراب عرسال أو إلى انتماءات الشهداء الأبرار الذين قدموا أرواحهم عربون وفاء لوطنهم وللمؤسسة العسكرية.

بلى، انتصر لبنان وشعبه وجيشه على الإرهاب وغرزوا إسفيناً في نعش مشروع التنظيمات الإرهابية ومن يدعمهم ويموّلهم ويشغّلهم، وأفشلوا المخطط التقسيمي الفتنوي التدميري لجحافل المغول والتتار الجدد الذين لن تكون حالهم أفضل ممن سبقهم من الطغاة والهمجيين من أمثالهم، فنهايتهم حتمية وأكيدة.

على سياسيي لبنان وقادته من أصحاب الحل والربط والقرار أن يستثمروا هذا الانتصار لإنقاذ لبنان قبل فوات الأوان، فالهيكل إذا سقط يتشظى منه الجميع ولن ينجو أحد أياً يكن موقعه ووضعه وتحالفه ورهانه.

لعلّ عودة الرئيس سعيد الحريري غير المتوقعة في مرحلة التأزم السياسي والأمني تؤشر إلى تجاوز مراحل سابقة غير مطمئنة وتعيد خلط الأوراق لمصلحة لبنان وتوئد الفتنة وتضع حداً لجميع نواب كتلته أو مسؤولي تياره السياسي ووقف خطبهم المؤججة التي تساهم في أخذ البلد إلى الهاوية، وهم سيكونون أول من سيدفع الثمن وليس غيرهم. تحية إلى الجيش... والأمر لك.

توحيد البندقية

■ جمال الكندي

جاءنا البيان الآتي: تعلن دولة العراق والشام الإسلامية (داعش) إقامة دولة الخلافة وتدعو المسلمين إلى إعلان البيعة للخليفة الجديد أبو بكر البغدادي انتهى الإعلان. لقد تباينت ردود الأفعال بعد هذا الإعلان من (داعش) بين مؤيد وهم من البيئة الحاضنة والخلايا النائمة لهذه الجماعات، وبين معارض لتمددها ويحاربها بسبب فكرها الإقصائية والتكفيري. داعش تعلن الخلافة في القرن الحادي والعشرين وتدغدغ مشاعر المسلمين وتحاول إرجاعهم إلى ذلك التاريخ الجميل تاريخ الخلافة الراشدة ولكن على حساب من هذه الخلافة؟ وبأي طريقة يتمّ تحقيقها؟ إنها على حساب دول مستقرة مطمئنة وفسيفساء مجتمع عربي متآلف ومتحاب، يراد من (داعش) من قبل مشغليه نسف كل ذلك وخلق فوضى جديدة في هذه الدول التي تشرّفت بأن أعلنها داعش أنها ضمن دولة الخلافة الداعشية.

إنها مرحلة جديدة من مراحل الخراب وسفك مزيد من الدماء العربية، فداعش اليوم وغيره معول هدم البنيان العربي المتهالك في الأصل، إنه تقسيم آخر يصيب أمتنا العربية والإسلامية بعد (سايس بيكو) والمتفرج الصهيوني سعيد ومبتهج لأن في ذلك إضعاف الجيوش العربية التي تواجه المد الداعشي في المنطقة واستنزافاً لقدراتها البشرية والمالية.

المطلوب من داعش وغيره من الحركات الإسلامية إن كانوا صدقاً جاؤوا لنصرة المظلوم وتطبيق شرع الله في الأرض، أن يوحدا البندقية تجاه العدو الأوحد للمسلمين والجاثم على صدور الفلسطينيين منذ أكثر من نصف قرن، ذلك السرطان في الجسد العربي هو الذي لا بد أن ترفع الشعارات الإسلامية وينادى الله أكبر وحي على الجهاد عليه لا على جهاد إخوة العقيدة فهم مسلمون من قبل ومن بعد. أين داعش وأخواتها اليوم لما يحدث في غزة من عدوان صهيوني غاشم، يقتل الأطفال والنساء قبل الرجال؟ أين مقاتليهم الأشاوس (أبو حفص، أبو قتادة، أبو البراء وغيرها من هذه الأسماء الرنانة) أم هي فقط لقتال المسلمين وذبحهم، من أجل وهم اسمه الخلافة الإسلامية، وما هي إلا مؤامرة لتفتيت الأمة الإسلامية وزيادة جراحها عمقاً. أين الصهاينة في حربكم الجهادية يا داعش، غزة تنزف دماً وأنتم مشغولون بذبح المسلمين ولكن على الطريقة الداعشية.

إن ما يجري في غزة اليوم من عدوان صهيوني بربري، وسكوت هذه الحركات الراديكالية وتصميمها على أن تكون بنادقها تجاه الداخل الإسلامي، وعدم إشارتها من قريب أو بعيد بوجوب الجهاد في فلسطين وإصرارها بأن الجهاد يكون في البلدان الإسلامية عن طريق تغيير أنظمتها الحالية بقوة السلاح يدعونا إلى الحيرة والاستغراب والتفكير لمصلحة من تعمل هذه المجموعات المنتشرة شرقاً وغرباً في الجغرافية الإسلامية.

غزة الحبيبة تضرب بالصواريخ وداعش وجبهة النصرة وغيرهما شغلها الشاغل ضم مزيد من الأراضي إلى حوزتها والتفاخر عبر وسائل إعلام الفتنة اتساع رقعتها ونفوذها، وعلى حساب مزيد من المشردين في سورية والعراق ومزيد من دماء المسلمين، وفي الجانب الآخر دماء فلسطينية طاهرة تسفك فقط لأنها تريد العيش بعزة وكرمة فأين أنت يا داعش من كل هذا؟

غزة تنزف وتقصف والعرب لما يجتمعوا بعد لنصرة الشعب الفلسطيني ونعلم بأنهم حتى ولو اجتمعوا ستكون قراراتهم معروفة (نشجب ونستنكر) حفظها صغيرنا وشاخ عليها كبيرنا، والغريب أن خلال الأزمة السورية كانت جامعة الدول العربية تعمل كخلية نحل من قرار إلى آخر يدعو إلى إدانة ومعاقبة سورية اقتصادياً وسياسياً، وبلغت الاجتماعات من أجل عزل سورية عن محيطها العربي العشرات، والسؤال ماذا ستفعلون من أجل غزة وهي تحت هذا القصف اليومي الجواب أتركه برسم من يقرأ هذه المقالة.

إن سورية التي تعاقب الآن من قبل الغرب وعملائه، اعترف أحد القادة العسكريين الكبار في الكيان الصهيوني أن صاروخاً أصاب تل أبيب مداه يصل إلى أكثر من 120 كلم، وهو المفاجأة التي أعلنت عنها فصائل المقاومة الفلسطينية، كان سوري الصنع والسؤال هنا كيف وصل هذا السلاح إلى أيدي رجال المقاومة الفلسطينية وسورية تعاني ما تعانيه من خلال أزمتها الحالية، والتي أريد من خلالها قطع علاقة سورية بالمقاومة الفلسطينية واللبنانية. إن العقيدة القتالية لدى الجيش العربي السوري ظلت ثابتة ولم تتغير تجاه فلسطين، فعدوها هو الكيان الصهيوني الغاصب، ومن أجل ذلك عانت سورية من هذا الإرهاب الأسود والذي ما زال يضربها بمباركة غربية وصهيونية وللأسف عربية.

غزة تصرخين فمن يجيبك (فداعش) والنصرة والجيش الإسلامي في شغل أهم منك إنه قتال الكفرة بحسب توصيفهم، وقتال بعضهم بعضاً، والجامعة العربية العتيدة لم تجتمع إلى الآن وهي في سبات شتوي لا نعلم متى ستفيق منه، فلا ينفع التعامل مع هذا الكيان الصهيوني إلا عبر هذه الصواريخ المباركة التي ستجبرهم على وقف عدوانهم، وهنا لا بد أن نعرف الصديق الحقيقي لقوى المقاومة الفلسطينية والذي يمدها بما يكسر العنت والتكبر الصهيونيين، ويجعل منظومة القبة الحديدية التي يتفاخر بها لعبة كرتونية لا قيمة لها أمام صواريخ المقاومة.

توحيد البندقية مطلوب ولكن قبله لا بد من توحيد القلوب والنفوس والعقول ونزع كل غل وحقد تجاه الآخر، وبعد ذلك نوحد بندقيتنا ونصوبها إلى عدونا الحقيقي، العدو الذي يدمر غزة الآن بآلاف الأطنان من المتفجرات فمتى يحصل ذلك يا ترى؟

«إخوان» اليمن والدفاع عن الجمهورية!

■ علي القحوم

يتكرّر الحديث دوماً في الأبواق «الإخوانية» الظلامية عن الجمهورية والدفاع عنها! انطلاقاً من كتاف ودماج وحوث، وختاماً بالحوادث الأخيرة في مدينة عمران. ونودّ الحديث هنا عن الأهداف الحقيقية لـ«إخوان» اليمن الرامية إلى تمزيق البلاد وتفتيتها وجعلها مسرحاً للتجاذبات الإقليمية والدولية لتصبح مثل العراق وسورية، تحت عنوان «الدفاع عن الجمهورية»!

بالأمس رفع الإخوان المفلسون في رابعة "الستين" علم المملكة وصورة العاهل السعودي لعل وعسى أن تغفر المملكة خطاياهم وهم بذلك يستجدونها ويستعطفونها لتغير مواقفها أمامهم، ناسين أو متناسين ما فعلوه بالأمس تخندقاً مع قطر وتركيا في التآمر على المملكة ومحاولة استهدافها، وكيف كانت تصريحاتهم آنذاك حيال المملكة والنظام السعودي حينما كانوا يقولون إن المملكة تدار من غرف الإنعاش ووو... حديث طويل حتى أنه في تلك الفترة غير البعيدة انتهجوا سياسة إعلامية تستهدف المملكة وتحرّض عليها، لا سيما بعد موقف المملكة المرادف للرئيس السيسي ضدّ مرسي و«الإخوان».

اليوم ماذا تغيّر بعدما فشل مشروعهم التآمري على البلد واندحرت عناصرهم التكفيرية و«الداعشية» من عمران؟ ها هم يولولون ويبكون ويقولون إنهم «يدافعون عن الجمهورية» التي تفسر في قاموسهم بأنها «إخوانية»، وفيما باتوا في موقف ضعيف نراهم اليوم يتذكرون الأصدقاء ويحاولون مغازلتهم، إذ دعا زيد الشامي إلى إعادة النظر في العلاقة مع حزب المؤتمر ومن كان يطلقون عليه «عفاش» الذي كان يمثل الإصلاح في أيام الثورة، يتبرأون منه ومن الشراكة معه، متناسين ما فعلوه بالمؤتمر وبـ«عفاش» عام 2011 يوم تحركوا ضدهم وحملوا السلاح واستهدفوا مؤسسات الدولة وانشقت القيادات «الإخوانية» العسكرية والقبلية وسميت بعد ذلك «الجيش الحر» تحت قيادة اللواء المجرم علي محسن الأحمر وحميد القشيبي وغيرهم عندما تحركوا بقوة السلاح في استهداف المعسكرات ونهبها وقتل قادتها، إذ استهدفوا اللواء 63 وقيادته الكليبي وقتلوه ونهبوا المعسكر في فرضت نهم... وكذلك نهبهم معسكر «إسرائيل» في الجوف الذي سلمه المجرم علي محسن الأحمر إلى العناصر الاستخباريّة «القاعدة». كذلك لواء في حجة ومعسكرات أخرى.

فهل كل ما فعلوه في تلك الفترة كان دفاعاً عن الجمهورية ؟!

أم أنهم سعوا إلى تحقيق مآربهم وأحلامهم بالاستيلاء على السلطة بمختلف الوسائل لتصبح اليمن «إخوانية» وهذا أيضاً تحت مبرر «الدفاع عن الجمهورية»!

نتساءل: لماذا لم يرفع «الإخوان» المفلسون علم قطر وصورة أردوغان بدلاً من العلم السعودي وصورة الملك عبدالله، خاصة في هذه الظروف؟!

لا يحتاج الأمر إلى تفسير، لأن «إخوان» اليمن باتوا في وضع حرج ومخز، لا سيما بعد انفضاحهم في الحوادث الأخيرة وتسخير مؤسسات الدولة في حروبهم الحزبية والعبث بها والتآمر على البلد، فموقفهم هذا يرد في إطار الضعف والوهن والتخبط والفشل، فهم متحدّرون من أهم منطقة كانوا يرون قوتهم فيها، وباتوا لا يملكون اليوم القوة الكافية في تغيير الموازين والمعادلات في البلاد مع صعود قوة شعبية وسياسية اكتسحت الساحة اليمنية واسمها "أنصار الله" الذين أصبحوا الرقم الأول في المعادلة اليمنية ومعهم تغيّرت موازين القوى والمعادلات. فاليمن أمام ميلاد جديد ومستقبل أفضل ومشروع «الأخونة» فشل وانتهى إلى غير رجعة. حقق الشعب اليمني بثورته هذه إنجازاً تاريخياً كبيراً ورسم المستقبل بذلك وانتهت المؤامرات بفضل وعي الشعب اليمني والشرفاء في المؤسسة العسكرية والأمنية.

في المقابل، وبعدما خيبت آمالهم البيانات الدولية وبيان مجلس الأمن وكشف حقيقتهم قاموا بمحاولة فاشلة لاستجداء رضى المملكة حينما رفعوا في تظاهرتهم التي أسموها «الدفاع عن الجمهورية» صور الملك عبدالله وعلم المملكة، وهم يروّجون في أبواقهم الظلامية أن «أنصار الله» يفاوضون الحكومة لتسليم حميد القشيبي الذي أعلن مصيره وانتهت القصة، مقابل الإفراج عن السفينة جيهان الإيرانية وبحارتها، وهذه السفينة هي في الواقع كذبة سياسية ماتت يومذاك ودفنت، ويحاول المفلسون اليوم استغلالها لإثارة مشاعر النظام السعودي إلى التلفت إليهم مجدداً!

alialsied@gmail.com